الصلة بين الأدب والعقيدة

مامن مرحلة من مراحل التاريخ البشري عاش فيها الإنسان دون عقيدة أو مبدأ أو فكرة عن الكون والحياة ، على اختلاف طبيعة وعمق ذلك المبدأ أو العقيدة أو الفكرة ، ولكن الذي لاخلاف فيه أن هذا المبدأ أو هذه العقيدة إما أن يكونا ديناً مُوحىً من السماء ، أو تصوّراً معيناً عن الكون والحياة لايعتمد على الدين السماوي ذاته ، ولكنه يأخذ منه جانباً ، ويُبيح لنفسه أن يبتدع له مفاهيم خاصة لاتلتقي مع الخطوط العامة للدين السماوي ذاته ، ولكن هذه التصور يبقى له سِمة مامن سمات الدين ، من حيث الرؤية إلى ماوراء الطبيعة ، وإلى المصير الإنساني ، وإلى العلاقات العامة التي تنظم شؤونه الحياتية .

وإذا كانت فكرتنا عن الدين السماوي واضحة في مراحله المختلفة من حيث وحدة المصدر ، ووحدة المنهج الذي جاء به الأنبياء ووحدة السلوك البشري في الإستجابة أو العصيان ، فإننا لانستطيع أن نحصي عدد العقائد البشرية في مساحات الأرض كلها وفي مدار التاريخ كله ، سواء منها ماكان تحريفاً للدين السماوي ، أو ماكان ابتداعاً وتنكباً عن طريق الدين . ولكنّ الإنسان في الأحوال كلها بقي مرتبطاً بدين ، أيّ دين ، مما يدل على أن هذا الدين فطرة لصيقة بذاته ، ولم يستطع أن يعيش بدونها وإن اختلفت مظاهر هذه الفطرة وصورها ، أو بحثت لها عن بدائل من التصورات والمفاهيم .

والدين ، باعتباره تصوّراً شاملاً عن الكون والحياة والإنسان ، ينعكس على نشاطات الإنسان كلها ، على سلوكه وعلى ثقافته ويلونهما بلونه الخاص ، وقد يكون هذا الإنعكاس بارزاً و مباشراً ، كما أنه قد يكون خفياً وغير بارز للعيان ، ذلك أن الدين هو الجو العام الذي يتنفس فيه البشر ، والمحيط الذي تصدر عنه نشاطاتهم ، وهو الضمير الجمعي للأمة أو الجماعة التي تعيش في بيئة معينة .